

كَأَنَّهُ قَالَ: وَخَلَقْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ الْمَفْنِينَ بِتَعَاقِبِهِمَا كَمَا هُوَ
مَشْهُودٌ لَكَ وَلِلْجَمِيعِ جَمِيعِ النَّفُوسِ وَالْمَوَالِيدِ وَما جَعَلْنَا ﴿لِبَشَرٍ مِّنْ
قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ خَارِجاً مِنْ سُنَّةِ أَفْنَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ حَتَّى تَتَرَقَّبَ أَوْ
يَتَرَقَّبُوا لَكَ الْخُلُودَ.

﴿أَ﴾ يَنْتَظِرُونَ مَوْتَكَ دُونَ مَوْتِهِمْ ﴿فَإِنْ مِتَّ فَهُمْ
الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ تَعْلِيلٌ لِّانْكَارِ الْخُلُودِ
﴿وَنَبْلُوكُمْ﴾ عَظْفٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ ذَائِقَةِ الْمَوْتِ، أَوْ عَلَى مَا جَعَلْنَا
وَالْاِخْتِلَافَ بِالْأَسْمَاءِ وَالْفِعْلِيَّةِ أَوْ بِالْمَضِيِّ وَالْاِسْتِقْبَالِ لِأَشْعَارِ بَانَ
الْاِخْتِبَارِ مُسْتَمَرٍّ مِنَ الْاِمَاضِي إِلَى الْاِسْتِقْبَالِ ﴿بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾.

اعلم، انَّ الانسان ذو مراتب ولكلِّ مرتبةٍ منها شرٌّ وخير
خاصَّانَ بها فانَّ المرتبة الحيوانية خيراتها ملائمتها شهواته
وغضباته، والمرتبة البشرية خيراتها ملائمتها هذه لكن مع عدم
الخروج عن انقياد العقل، المرتبة القلبية ملائمتها العلوم والوصاف
الجميلة، وشرور كلِّ منافراته؛ وهكذا.

و قد يكون خير مرتبة شرّاً لمرتبةٍ اخرى، وقد يكون خيراً و
قد لا يكون شرّاً ولا خيراً، ومعنى الابتلاء الاختبار والخلاص ممّا
لا ينبغي ان يكون مع الانسان، والاختبار بشرّ المراتب واضح
والاختبار بخيرها بان ينظر هل يشكر ويتوجّه في الخير الى مفيض
الخير او يطغى ويلهو عنه.

فانّ فى الشّكر خلاصاً للطّيفة الانسانيّة من الشّوائب
وللنّفس من الرّذائل، وفى الطّغيان خلاصاً للطّيفة السّجّينيّة من
شوائب العليّين و للنّفس من شوب الخصائل.

﴿فِتْنَةً﴾ مصدر من غير لفظ الفعل ﴿وَإِنَّا تُرْجَعُونَ﴾ وعد
ووعيد وهو عطف على كلّ نفس ذائقة الموت، ومفيد للتّعليل
لانكار الخلود مثل سابقه، روى أنّ اميرالمؤمنين (عليه السلام) مرض فعاده
اخوانه فقالوا: كيف نجدك يا اميرالمؤمنين (عليه السلام)؟

قال: بشر، قالوا: ما هذا كلام مثلك! قال (عليه السلام): إنّ الله تعالى يقول
ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة.

فالخير الصّحّة والغنى، والشرّ المرض والفقر ﴿وَإِذَا رَأَوْا
الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله او بك او بعلی (عليه السلام).

﴿إِنْ يَتَّخِذُونَكَ﴾ هو جواب لاذا ولم يأت بالفاء فى الجواب
مع لزوم الفاء فى الجواب المنفى بان امّا لتقدير الفاء او لحذف
الجواب بقريضة هذه الجملة والتّقدير اتّخذوك هزءً ان يتّخذونك ﴿إِلَّا
هُزُؤًا﴾ مهزوّاً به و هو مصدر بمعنى اسم المفعول.

﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ ءَاهَتَكُمْ﴾ حال بتقدير القول اى
قائلين: اهذا الذى كان بيننا وكان ضعيفاً فينا هو الذى يذكر آلهتكم
بسوءٍ ويعيبهم؟! والحال أنّهم اولى بالاستهزاء لانّهم معرضون عن الله
وعن خلفائه.

﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ تكرار المسند اليه بالضمير للتأكيد وللحصر الادعائي كأنهم لا كافر سواهم، وتقديم الظرف على عامله لشرافته بالاضافة الى الرحمن وللحصر ايضاً.

يعنى انّ للاشياء جهتين، جهة ذكر الرحمن وجهة ذكر الشيطان وهوى النفس وانت تعيب عليهم الهتهم بجهتها الشيطانية لاجهتها الرحمانية فانت اولى بالتصديق والتبجيل وهم كافرون من الاشياء جهة ذكرها للرحمن ناظرون الى جهة ذكرها للشيطان، فهم اولى بالاستهزاء و احق بالتوهين.

او المراد بالذكر القرآن او الرسالة اولولاية فان الكل ذكر لله، والباء فى قوله بذكر الرحمن سببية او صلة كافرون.

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ جملة منقطعة عن سابقها لفظاً ومعنى، او مرتبطة معنىً جوابٌ لسؤال كان مذكوراً او مقدراً كأنه ﷺ قال: او امته مستبطين لمواخذاتهم الى م تمهلهم؟

فقال: خلق الانسان من عجل و هذه عبارة دائرة فى العرب والعجم اذا أرادوا المبالغة فى امرٍ يقولون: انه خلق من هذا الامر كأنه جعل ذلك الامر مادة خلقته.

و فى الخبر انّ آدم ﷺ لمّا نفخ فيه الروح اراد ان يقوم قبل اتمام النفخ فقال تعالى: خلق الانسان من عجل.

﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾ فى مؤخدة المستهزين ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾

فی حلول العذاب بهم، وهذه الآية بهذا التفسير تدلّ على انّ قوله خلق الانسان من عجلٍ مرتبطٌ معنًى بسابقها ﴿وَيَقُولُونَ﴾ عطف على قوله اهذا الذي يذكر آلهتكم فانه في التقدير يقولون: اهذا الذي يذكر الهتكم كما اشرنا اليه ويقولون استهزاءً بنحوٍ آخر.

﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ الذي تعدون من وعد القيامة او وعد العذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في وعدكم ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اتي بالاسم الظاهر تصريحاً بكفرهم واشعاراً بعلّة الحكم ﴿حِينَ لَا يَكْفُفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾ حين مفعول يعلم ولو للشرط والجزاء محذوفٌ والمعنى لو يعلمون وقت احاطة النار بهم في الجحيم او في البرزخ وعدم قدرتهم على دفعها لعلّوا ايّ منهم ومنكم احقّ بالاستهزاء او لما استهزؤا او لما استعجلوا الوعد، او لو للشرط وحين ظرف والمعنى لو يكون لهم علمٌ في وقت احاطة النار بهم يعلمون ماحلّ بهم من العذاب او لو للتمنّى وحين على الوجهين.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يعني لا يقدرّون على دفع العذاب بأنفسهم ولا يعينهم معين آخر ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً﴾ اضراب من عدم علمهم المستفاد من لو يعلمون او اضراب عن عدم كفّهم والضّمير للنار او للعدة او للقيامة المعهودة بينهم ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ اي تحيرهم بحيث لا يبقى لهم شعور و تدبير لدفعها.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ عن انفسهم ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾
 لتدبير دفعها او لتوبة ومعدرة، او لجبران مافات منهم بالأعمال
 الصالحة ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ تسلياً له ﷺ عن
 استهزاء قومه ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾
 أى القول و العمل الذى كانوا به يستهزئون.
 او العذاب الذى كانوا به يستهزئون ﴿قُلْ﴾ رداً عليهم فى
 اتّخاذ الآلهة ﴿مَنْ يَكْلُوْكُمْ﴾ أى يحفظكم ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ
 الرَّحْمَنِ﴾ أى من عقوبته او من قبله ان اراد بكم سوءً والمقصود
 حملهم على الاقرار بعجز الآلهة.

و هذه الآية مثل سوابقها تعريض بمن اتّخذ من دون على ﷺ
 اولياء ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ﴾ تذكّر ربهم المطلق او ربهم
 المضاف او عمّا يذكرهم به ربهم من الآيات الآفاقية والانفسية
 والآيات العظمى التى أعظمها على ﷺ.

او المراد بذكر ربهم القرآن او محمّد ﷺ او على ﷺ ابتداء
 ﴿مُعْرِضُونَ﴾ و لهذا لايتذكّرون انّ آلهتهم عاجزون وان ليس
 الحافظ من سخط الله الا الله.

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ عطف باعتبار المعنى كأنه قال: الهم آلهة
 تكلّوهم من عقوبة الرحمن او حالكونها من قبل الرحمن ام لهم آلهة
 ﴿تَمْنَعُهُمْ﴾ من عذابنا او من حوادث الزّمان حالكونها ﴿مِّن دُونِنَا﴾

من غیرنا او حالکونہا من عندنا۔
﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾ استیناف جواب لسؤال
مقدّر کأنه قيل: فما شأن آلہتم؟ - فقال: لا يستطيعون نصر انفسہم
فکیف بغيرہم ﴿وَلَا هُمْ مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ ای یحفظون من: اصحب
فلاناً واصطحبه ای حفظه ومنعه، والمعنى ان آلہتم لا يستطيعون
نصر انفسہم وليسوا بأنفسہم محفوظين من قبلنا، او ليسوا
محفوظين من عذابنا لا بأنفسہم و لا بغيرہم۔

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ﴾ يعنى ليس لهم آلهة بل متَّعنا هَؤُلَاءِ
﴿وَأَبَاءَهُمْ﴾ بالاموال والاولاد والاعمار والصَّحَّة والا من ﴿حَتَّىٰ
طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ فاغترَّوا بتمتعنا واتَّبَعُوا اهواءہم۔
﴿أَغْتَرَّوا بتمتعنا وغفلوا عن الرجوع الينا﴾ فَلَا يَرَوْنَ أَنَّا
نَأْتِي الْأَرْضَ ﴿برسلنا﴾ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴿بازهاب النفوس
النَّازِلَة من عالم الارواح اليها المثلَّة لها التى زيدها عن قدرها،
ولما كان النفوس السَّفَلِيَّة الشَّيْطَانِيَّة كأنها لا تنقل من الارض بالموت
فسر نقصان الارض بموت العلماء فى اخبارنا۔

وقيل: انَّ المعنى ننقصها من اطرافها بظهور المسلمين على
الكافرين بنقصان ديار المقاتلين وارضيتهم وازدياد ديار المسلمين
واراضيهم لكن هذا لا يناسب سوق العبارة فى المقام۔
﴿أَفَهُمْ الْغَالِبُونَ﴾ على امرنا وحكمنا وقدمت الآية فى

سورة الرعد ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ بسبب وحي الله الى بالانذار لا بسبب الهوى كما ان تخويفاتكم تكون بالهوى او انذركم بما أوحى الى لا بما اتخيل من نفسى مثلكم ولكن لا ينفعكم انذارى لانكم صم.

﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ اى النداء ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ فلا ينتفعون ﴿وَلَيْنَ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ يعنى انهم يستعجلون بالعذاب ولئن مسَّتْهم نفحة من عذاب ربك، النّفحة الدّفعة من نفح الطّيب ونفح الرّيح بمعنى هبّت، ونفح العرق نزا والنّفحة من العذاب القطعة منه.

﴿لَيَقُولَنَّ يَوَيْلَنَا﴾ كالعاجز عن الدّفع والاستنصار من غير توسّل بالالهة ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ يعنى اعترفوا بظلمهم فى اتّخاذ الالهة من دون الله او الاولياء من دون ولى الامر. ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ الميزان مايوزن ويقاس به مقدار الشّيء وحاله سواء كان ذلك ذاالكفتين .

او القبّان او الزّرع او مقياس البناء والمسّاح، او احكام الشّرائع والملل، او آداب الطّريق والسلوك، او كتب الله السّماويّة، او وجود خلفاء الله تعالى بأعمالهم وأقوالهم وأحوالهم وأخلاقهم ومراتب وجودهم.

ولمّا كان الميزان فى الآخرة كثيرة بحسب النّشآت ومراتب

الاشخاص جمع الموازين بالجمع الدَّالّ على الكثرة وقد سبق فى
 أوّل سورة الاعراف تحقيق وتفصيل للوزن والميزان.
 و القسط بمعنى العدل ومن المصادر الّتى يوصف بها،
 يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر ﴿لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ اى
 فى يوم القيامة، او للنّاس فى يوم القيامة، او لحساب يوم القيامة
 ﴿فَلَا تُظْلَمُ﴾ بنقص ثواب او زيادة عقاب، او بثواب فى موقع
 العقاب، او بعكس ذلك ﴿نَفْسٌ شَيْئًا﴾ هو مفعول ثانٍ لتظلم او قائم
 مقام المصدر.

﴿وَإِنْ كَانَ الْعَمَلُ مُثْقَلًا حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ اى مقدار
 حبة من خردل، وقرئ مثقال حبة بالرفع على جعل كان تامّةً ﴿أَتَيْنَا
 بِهَا﴾ وقرئ بالمدّ من باب الافعال او المفاعلة ﴿وَكَفَىٰ بِنَا
 حُسْبِينِ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ الجملة
 معطوفة على قوله لئن مسّتهم، او على قوله ونضع الموازين.

والاوّل اولى لتوافق المتعاطفين فى الانشاء، فانّ لام لقد آتينا
 موطّئة للقسم، والثانى اوفق بحسب تناسب المعنى فانّ وضع
 الموازين ليوم القيامة يناسب اتيان الفرقان لموسى لانه ايضاً ميزان
 فكأنه قال: نضع الموزين القسط ليوم القيامة و آتينا موسى فى
 الدّنيا الميزان القسط الّذى هو التّوراة الفارقة بين الحقّ والباطل.

﴿وَضِيَاءً وَذِكْرًا﴾ من قبيل عطف او صافٍ عديدة لشيءٍ

واحدٍ على ان يكون الفرقان والضياء والذكر او صافاً للتّورة، او من قبيل عطف المتباينات ان اريد بالفرقان التّورة او فلق البحر، او سائر المعجزات وبالضياء والذكر غيرها ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ متعلّق بآتيناً. وكون الفرقان للمتّقين لكونهم منظورين من اتيانه ومنفعين به، او صفة لضياء وذكرأ، او لذكراً فقط.

﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ صفة بيانية للمتّقين، و بالغيب حال من ربّهم او من فاعل يخشون، والباء للظرفيّة، او للمصاحبة، او الباء للسببيّة، والظرف لغو متعلّق بيخشون اى يخشون بسبب غيب اعمالهم من حيث الصّحة والبطلان او بسبب غيب جزاء اعمالهم ، او بسبب غيب موارد وعده ووعيده عنهم.

﴿وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ قدمضى قبيل هذا بيان الخشية والاشفاق ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ كثير البركة والخيرات وهو ميزان اهل هذا الزّمان فى الدّنيا ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ قدمضى ان الاتيان بالايّاء فى وصف كتاب موسى ﷺ وبالاتزال والتّنزيل فى وصف كتاب محمد ﷺ تشرىف للقرآن.

﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ بعد وضوح صدقه وحجّته وبعد كونه ذانظير فى السابقين.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ مابه رشده من الحجج والبراهين او الرّشد اللاّئق بحاله من الاهتداء الى كمالاته ﴿مِّنْ

قَبْلُ ۝ اِیْ مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ اَوْ مِنْ قَبْلِ مُوسَى ۝ وَكُنَّا بِهٖ ۝ اِیْ بِرَشْدِهِ
اَوْ بِابْرَاهِیْمَ ۝ عَلَمِیْنَ اِذْ قَالَ ۝ ظَرْفٌ لَا تَیْنَا اَوْ لِعَالَمِیْنَ ۝ لِاَبِیْهِ
وَقَوْمِهِ ۝ مَا هَذِهِ التَّمَاثِیْلُ ۝ جَمْعُ التَّمَثَالِ بِالْكَثْرِ وَهُوَ الصُّورَةُ
وَالْاَغْلَبُ اسْتِعْمَالُهُ فِیْمَا لَا رُوحَ لَهُ.

۝ اَلَّتِیْ اَنْتُمْ لَهَا عَکْفُوْنَ ۝ اللّٰمُ بِمَعْنٰی عَلٰی اَوْ لِلتَّقْوِیَةِ
فَاِنَّ الْعُكُوفَ یَتَعَدّٰی بِنَفْسِهِ وَیَكُونُ بِمَعْنٰی الْحَبْسِ، وَیَعْلٰی وَیَكُونُ
بِمَعْنٰی الْاِقْبَالِ، وَیَجُوزَانِ یَتَضَمَّنُ مَعْنٰی الْعِبَادَةِ فِیَكُونُ اللّٰمُ لِلتَّقْوِیَةِ
اِیْضًا.

۝ قَالُوا ۝ فِی الْجَوَابِ مِثْلُ اَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ ۝ وَجَدْنَا ۝ اَبَاءَنَا
لَهَا عَبِیدِیْنَ ۝ فَاِنَّ النَّاسَ لَغَلْبَةُ الْمَدَارِكِ الْحَسِیَّةِ عَلَیْهِمْ لَا یَتَجَاوِزْنَ
عَنِ الْمَحْسُوسِ وَلَا یَتَأَمَّلُونَ فِی الْمَحْسُوسِ وَفِی صَحَّتِهِ وَبَطْلَانِهِ
خُصُوصًا فِیْمَا رَاَوْهُ مِنْ اَوَّلِ التَّمِیِیْزِ مِنَ الْاَبَاءِ مِنَ الْقَوْمِ وَیَتَلَقَّوْنَهُ
وِیَتَمَسَّكُونَ بِهِ مِنْ غَیْرِ حُجَّةٍ وَلِذَلِكَ اِکْتَفَوْا فِی الْجَوَابِ بِذِكْرِ تَقْلِیدِ
الْاَبَاءِ مِنْ غَیْرِ اِبْرَازِ حُجَّةٍ فَاِنَّ السَّوَالَ وَانْ كَانَ بِلَفْظِ مَا الدَّالُّ عَلٰی
طَلَبِ الْحَقِیْقَةِ لَكِنْ الْمَقْصُودُ كَانَ اِنْكَارَ عِبَادَتِهَا وَیَنْبَغِیْ اِنْ یَجِیْبُوا بِمَا
یَصَحَّ الْعِبَادَةُ لَهَا.

اعلم، انه كما نقل كان بين اوصياء آدم وشيث وبين نوح
رجال صالحون كان الناس يأنسون بهم فلمّا ارتحلوا دخل الناس
حزن شديد فصنع بعض الصّالحاء لأنس الناس ورفع حزنهم تماثيل

اولئك الصّالحاء وكانوا يزورونها ويأمنون بها.
فلما تَمَادَى الزّمان وارتحل الآباء وبقي التّمائيل للاولاد
واولاد الاولاد جاء الشّيطان اليهم وقال: كان آباؤكم يعبدون هذه
التّمائيل واغترّوا بها وبعبادتها.

وقيل: كان تلك التّمائيل تماثيل الكواكب كانوا يزورونها
ويتوسّلون بها فى حوائجهم كما انّ شريعة العجم المنسوبة الى
مهاباد كانت على ذل، **﴿قَالَ اِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَدًّا لَهُمْ فِي عِبَادَتِهِمْ وَفِي تَقْلِيدِهِمْ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَاَبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾** ينى تصدق ام تمزح؟
﴿قَالَ﴾ بعد انكار ربوبيّتها لحصر الربوبيّته فى الله **﴿بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾** ادى
الدّعوى بحيث يدلّ عقد الحمل على صحّتها، وتوصيف المحمول
بالذى فطرهنّ يدلّ على صحّة عقد الحمل.

﴿وَ أَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِّنَ الشّٰهِدِينَ﴾ يعنى ليس قولى
هذا عن مزاح ولعب بل عن جدّ ومواطاة قلب.
﴿وَتَاللّٰهِ لَا أَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ اى لأفعلنّ بها فى خفية
مالايلائمها **﴿بَعْدَ أَنْ تُولَّوْا مُدْبِرِينَ﴾** حال مؤكّدة او مقيدة
باعتبار انّ التّولية بمعنى الاقبال والادبار، وهكذا التّولى.

قيل: انّما قال ذلك فى السرّ من اصحاب نمرود ولم يسمع